في فتح مكة

أخرج الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباد عن عبد اللّه بن الزبير عن جدته أسماء قالت:

«لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنيَّة، أظهري بي على أبي قبيس[1]، قالت: وقد كُفَّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه فقال: يا بنيَّة، ماذا ترين؟

قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل.

قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: يا بنيَّة، ذلك الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها.

ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذاً دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي. فانحطَّت به، وتلقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طوق لها من وَرِق[2]، فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه يعوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أي اصعدي بي على ظهر جبل أبي قبيس.

(٢) من فضة.

«هَلاَّ تركتَ الشيخَ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟».

قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه.

قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له: «أَسْلِمْ». فأسلم ودخل به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه ثُغامة[1].

فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا من شَعْرِه».

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أَنْشُدُ بالله وبالإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، فقال: يا أُخَيَّه، احتسبي طوقَك.

* * *

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» عن أسماء قالت:

«لما كان عام الفتح، خرجت ابنةٌ لأبي قحافة، فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من ورق فاقتطعه إنسان من عنقها، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد قام أبو بكر وقال: أَنْشُدُ بالله وبالإسلام طوق أختي.

فوالله ما أجابه أحد، ثم قال الثانية، فما أجابه أحد، ثم قال: يا أُخْتَه، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل» سنن البيهقي، كتاب «السير»، باب: «فتح مكة».

وورد هذا الخبر في صحيح ابن حبان ١٦/ ١٨٧ برقم (٧٢٠٨). وقال عنه محقق الكتاب: إسناده حسن ورجاله ثقات

---

(١) الثغام: نبت يكون بالجبال غالباً، إذا يبس ابيضَّ، ويُشبَّه به الشيب.

رجال الشيخين غير ابن إسحاق ويحيى بن عباد، فروى لهما أصحاب السنن، والأول صدوق، وقد صرح بالتحديث، والثاني ثقة.

وأخرج الحديث الطبراني، وهو في سيرة ابن هشام، وأخرجه الحاكم والبيهقي في «دلائل النبوة»، وفي «أسد الغابة»، وفي «مجمع الزوائد».

* * *

والحديث يشير إلى أمور منها: أن أبا قحافة كان يصف الجيش وتحركه ويتعرف على ذلك من وصف حفيدته وهي ترى شبه خيالات من بعيد، وهذا يدل على معرفته وخبرته.

ويدل على هذا الأدب الرفيع، القدوة من رسول الله ﷺ حينما رأى أبا قحافة، وقد جاء به ابنه الصّدِّيق ـ رضي الله عنهما ـ فقال له الرسول ﷺ: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه**» وهذه صورة من أروع الصور في الأدب والمعاملة واحترام الكبار من رسول خير البشر أجمعين. يقول: «**أنا آتيه**» ويكون رد الصّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ الذي يعرف مكانة رسول الله ﷺ عند ربه، ويوقن بذلك حق اليقين: «هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه».

والصّدِّيق البر بأبيه يسرع ليأتي به لكي ينال هذا الشرف، وينجو من العذاب فيسلم، وقد تحقق له ذلك.

لقد هاجر الصّدِّيق وبقي أبوه في مكة، فأمر الدعوة وطاعة الله مقدمة على كل شيء، والأمر الأخير ما قاله الصّدِّيق لأخته بعدما يئس من أن يأتي أحد بالطوق: «إن الأمانة اليوم في الناس لقليل» هذا في زمن الصّدِّيق، فكيف بها في زمننا؟!.

في الدعوة إلى الله

أخرج الإمام أحمد عن يحيى بن إسحاق قال: أخبرنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

«سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون: ﴿**فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبان**﴾.

وعن أسماء بنت أبي بكر أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت:

«كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له لغدائر أربع، وهو يقول: ويلكم!! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبيِّنات من ربكم؟ فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر.

قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام.

أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أبو يعلى، وفيه يدروس جد أبي الزبير ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

* * *

وذكر ابن إسحاق عن أم جميل أنها لما بلغها نزول: ﴿**تبَّت يدا أبي لهب وتب**...﴾ السورة. وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر، وفي يدها فهر[1] من حجارة، فلما وقفت عليهما لم ترَ إلا أبا بكر، وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه».

أخرجه أبو يعلى والبيهقي وابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر.

* * *

والحديث واضح الدلالة بما كان يلقاه رسول الله ﷺ وصحبه من الأذى والتسفيه من قريش في سبيل هذه الدعوة، ولكن ذلك كله لم يمنعهم من الصّبر على الأذى ودعوة الناس إلى الإسلام، وتبيان الحق لهم، ومخالطتهم بهذه الأخلاق الرفيعة التي جعلت الناس يحترمونهم، ويعجبون لأمرهم، ويسلم بعضهم بعد أن يرى كل ذلك، ويعلم أن الدين الذي يدعون الناس إليه هو الذي رفعهم إلى هذا الأفق السامي من الأدب والخلق وحسن المعاشرة وحب الخير.

---

(١) الفِهْر: حجر ملء الكف.

البركة في الطعام وصيانته من الأذى

حدثنا حسن قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت إذا ثَرَدَتْ غطَّته شيئاً حتى يذهب فوره ثم تقول:

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّه أعظمُ للبركةِ**».

أخرجه الإمام أحمد والبيهقي في سننه في كتاب «الصّداق»، باب: «ما جاء في الطعام الحار».

وعن قتيبة بن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن عقيل، وحدثنا عتال قال: حدثنا عبد اللَّه قال: أنبأنا ابن لهيعة قال: حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت إذا ثردت غطَّته. وذكر مثله. أخرجه الإمام أحمد.

وورد الحديث في صحيح ابن حبّان. وقال عنه محقق الكتاب: حديث حسن، ورجاله ثقات رجال الصحيح غير مرة بن عبد الرحمٰن فهو من رواة أصحاب السنن، وروى له مسلم مقروناً بغيره، وضعَّفه ابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وذكره ابن حبّان في «الثقاة».

وورد الحديث عن الدارمي، والطبراني في «الكبير»، والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم في

الشواهد، ولم يخرجاه، وله شاهد مفسر من حديث محمد بن عبيد اللَّه العَرْزمي. انظر صحيح ابن حبّان ١٢/ ٦ ـ ٧، رقم الحديث (٥٢٠٧).

obeikandl.com